أبو محمد الجولاني.. كيف عاد الشاب "المهذّب" إلى المزّة زعيمًا لسوريا؟

كتبه ريتشارد سبنسر | 12 ديسمبر ,2024

كان المساء قد حلّ عندما وصل أبو محمد الجولاني، حاكم سوريا الجديد، إلى مدخل المبنى السكني الذي نشأ فيه جنوب غرب دمشق.

في وقت سابق من ذلك اليوم، كانت قواته قد دخلت العاصمة السورية منتصرة، واكتسحت كل شيء أمامها، وحررت السجناء من زنازينهم واستولت على الوزارات الحكومية. لكن الجولاني كان لديه مهمة خاصة، كان يريد العودة إلى منزله.

لقد صعد إلى الطابق العاشر في المصعد، برفقة أربعة حراس مسلحين، وقرع جرس الباب.

سبّب وصوله صدمة لساكنَي الشقة، المهندس الميكانيكي أحمد سليمان وزوجته. لكن وفقًا لما ذكره عامر حارس المبنى، الذي كان شاهدا على الواقعة، فقد كان الجولاني مهذبًا للغاية.

سأل الجولاني قائلا: "هل تمانع في إخلاء هذه الشقة؟ والداي لديهما ذكريات جميلة في هذا المكان ويرغبان في العودة إليه".

تغير كل شيء في سوريا في ساعات قليلة من صباح يوم الأحد. بالنسبة لكثيرين مثل الدكتور سليمان وزوجته، كانت لحظة مخيفة. حصل الزوجان على الشقة من نظام الأسد الذي صادر العقار بعد أن

أصبحت هوية الجولاني كقائد للمتمردين معروفة، وهروب والديه إلى مصر.

اشتهر الجولاني بأنه جهادي معتدل

أكدت هيئة تحرير الشام، الفصيل الجهادي الذي يسيطر على سوريا حاليا، بأنه لا داعي للخوف على مستقبل أي شخص إلا إذا كانت يداه ملطختين بالدماء. تدّعي الهيئة أن استعادة الحقوق – بما في ذلك حقوق الملكية – سيتم بشكل سلمي.

كان زعيمهم مثالاً يُحتذى به، وقد أكد حارس المبنى أن الجولاني أمهل الدكتور سليمان عدة أيام لحزم أمتعته.

كانت هذه العودة حدثا استثنائيا للرجل الذي كان حتى الأسبوع الماضي العدو الأول للنظام في سوريا. يعمل الجولاني الآن على تعزيز صورته كجهادي معتدل، رغم ماضيه في القتال مع تنظيم القاعدة في سوريا والعراق.

والأمر الأكثر غرابة، أن منطقة المزة، الضاحية الغربية التي انتقلت إليها عائلة أحمد الشرع، وهو اسمه الحقيقي، عندما كان في السابعة من عمره، ترتبط في أذهان كثير من الناس بنظام الأسد. فهي المنطقة التي يعيش فيها كبار المسؤولين ورجال الأعمال الأثرياء، بالقرب من مطار المزة العسكري، وشارع يعج بالوزارات، بما في ذلك وزارة العدل.

لكن ذلك كان مناسبًا بما فيه الكفاية لعائلته من الطبقة الوسطى لتجد مسكنا. أُجبر والده، وهو مهندس نفط، على مغادرة منزل العائلة في هضبة الجولان قبل ولادة ابنه أحمد، عندما استولت

إسرائيل على المنطقة في حرب الأيام الستة سنة 1967.

كان والد أحمد الشرع في علاقة غير مستقرة مع النظام، قبل أن يغادر إلى السعودية التي وُلد فيها أحمد سنة 1982.

بعد انتهاء فترة العمل بالخارج، انتقلت العائلة إلى المزة، حيث افتتحت متجرًا صغيرًا ووكالة عقارية، وقد استولى النظام على المتجر خلال المراحل الأولى من الحرب. لا تزال الوكالة تحمل اسم "الشرع للعقارات"، رغم أنها أُغلقت هي الأخرى.

كان أحمد الشرع في شبابه هادئًا وخجولًا، ونادرا ما تظهر عليه علامات الفرح، وفقًا لمن عرفوه عن قرب. كان انطوائيا مثلما وصفه سكان المنطقة، بدءًا من الحلاق – في السنوات التي كان فيها طالبًا حليق الذقن – وصولًا إلى الشابة التي كان شقيقها يلعب معه ألعاب الفيديو.

يتذكّر الحلاق، الذي طلب أن يُعرّف فقط باسم محمد، كيف كان يتجاذب أطراف الحديث مع أحمد أثناء حلاقة شعره، وقال: "كانت آخر مرة ربما قبل 15 سنة. كان خجولاً جداً ومهذباً جداً. وفي يوم من الأيام اختفى، وقد صُدمنا عندما شاهدناه على شاشة التلفاز بعد بضع سنوات باسم أبو محمد الجولاني".

وكان أحد رجال الأعمال من سكان المزة سابقا، وهو يعيش حاليا في الخارج، يعمل في الحي الذي تقع فيه بقالة عائلة الشرع، وكان أحمد يوصل له المشتريات. يقول: "كنا نجلس في كثير من الأحيان ونتحدث. لقد أحببته، حيث كان هادئًا وخجولًا، وكان رصينًا". وأضاف رجل الأعمال أن أحمد كانت تبدو عليه علامات أيضا علامات الحزن، وكأنه "غاضب من العالم بأسره".

وقد كشف الجولاني أن الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت سنة 2000، كانت اللحظة التي دفعته لأن يختار طريق الجهاد. وبعد هجمات 11 سبتمبر/ أيلول سنة 2001، انتقل إلى العراق، حيث وصل قبل الغزو الذي قادته أمريكا وبريطانيا في 2003.

اتسمت تلك الفترة بمواقف غريبة من النظام السوري، حيث كان نظاما علمانيًا من الناحية النظرية، ومعاديًا لنظام صدام حسين. لكن مع مرور السنوات، شجعت مخابرات النظام الشباب السوري على الذهاب للقتال ضد الأمريكيين في العراق، ربما بهدف ضرب عصفورين بحجر واحد، وهما التخلص من الإسلاميين في سوريا وإشغال القوات الأمريكية وثنيها عن تغيير نظامه.

معسكر بوكا الذي احتُجز فيه الجولاني بعد أن اعتقله الأمريكيون

أتى ذلك القرار بنتائج عكسية، فقد برز الجولاني في صفوف الفرع العراقي من تنظيم القاعدة، والذي كان معروفًا بأساليبه المتطرفة. وفي إحدى المواجهات، اعتقله الأمريكيون واحتجزوه في معسكر بوكا، وهو السجن العراقي الذي ضم عددا كبيرا من الجهاديين الذين أصبحوا لاحقا شخصيات بارزة، ومنهم أبو بكر البغدادي، زعيم تنظيم الدولة سابقا.

كان البغدادي هو من أرسل الجولاني في 2011 إلى سوريا لتأسيس جبهة النصرة كفصيل جديد مناهض للأسد، لكن الرجلين اختلفا في عدة مسائل، من بينها الأساليب المتطرفة التي كان يفضلها البغدادي مثل القتل الجماعي وقطع الرؤوس.

في ربيع 2013، كان الانفصال واضحا تماما. وفي السنوات التالية، عزل الجولاني نفسه عن تنظيم القاعدة أيضًا، ودمج قواته مع جماعات إسلامية أخرى أقل تطرفًا. وقال الجولاني حينذاك إنه يركز فقط تحرير سوريا بمسحة إسلامية.

أما الالتزام بوعوده باحترام التنوع الديني والأيديولوجي في سوريا، فهو أمر مهم جدا بالنسبة لسكان المزة. بالنسبة للبعض، فإن الموقف من الجار الجديد معقّد نوعا ما، ويتخذ شكلاً من أشكال التفكير المزدوج، وهو نمط شائع لدى من تعودوا على العيش في ظل الأنظمة الديكتاتورية.

من الصعب تغيير صورة الجولاني في الأذهان كإرهابي، وهي الصورة التي كرستها وسائل الإعلام الحكومية، ولكن من الصعب أيضًا محو صورة المقاتل من أجل الحرية الذي أطاح بنظام منبوذ عالميًا، والذي انهارت سمعته حتى في قلب حاضنته الشعبية. وهناك بالطبع صورة الفتى الهادئ

المجتهد الذي كان قد بدأ بدراسة الطب في شبابه كما يتذكر عدد من سكان المزة.

عبّر كثيرون عن رغبتهم في الحديث عن هذا المأزق الذي تعيشه "سوريا الحرة" الجديدة، ولكن بشرط عدم ذكر أسمائهم. يبقى أن نرى إلى أين سيصل مدى الحرية التي سيتمتعون بها في المستقبل.

عاد الجولاني إلى استخدام اسمه الأصلي أحمد الشرع

تحدث سامر، وهو مهندس متقاعد كان يعرف والد الجولاني، عن استخدام أحمد الشرع اسمه الحقيقي بعد استيلائه على السلطة، بدلًا من كنيته الجهادية، قائلا: "ما نأمله هو أن يخلع قناع الجولاني ويستبدله بأحمد الشرع بشكل جوهري". مضيفًا أن مناطق مثل المزة تعدّ من المناطق العلمانية، معربا عن أمله في أن يحترم الجولاني ذلك، وقال: "لا نريد أن نصبح قندهار أخرى".

بعد يومين من استرداد شقة والديه، عاد الجولاني مجددا إلى المسجد الأموي الذي كان يصلي فيه عندما كان شابًا يافعًا. كان والده متدينًا أيضًا، كما يتذكر رواد المسجد، وكان يتلو القرآن عن ظهر قلب.

يتذكر العديد من المصلين ذلك الشاب المهذب والخجول، لكنهم غير واثقين من خططه المستقبلية في الانفتاح.

يقول أيمن، وهو مواطن في منتصف العمر يرتدي ملابس أنيقة، إنه كان في نزهة مع كلبه عندما رأى الجولاني وشقيقه ماهر وأربعة من حراسه الشخصيين يوم الأحد. أمضوا نصف ساعة في الحديث

قبل أن يصعد الجولاني إلى شقته. أضاف أيمن: "كان يسأل عن الجيران. من منهم مازال في الحي، ومن غادره. التقط أيمن صور سيلفي مع الشرع وشقيقه إحياء للذكريات القديمة.

جارة أخرى يبدو أنها وجدت حلاً لمشكلة كانت تؤرقها، وهي إصرار زوجة ابنها على الطلاق من ابنها، وما يترتب على ذلك من مشاكل قضائية.

قالت: "قد أسأله عن ذلك. فقد كان القضاة فاسدين للغاية، لكنني لا أريد الواسطة"، وهي كلمة عربية تعني استخدام العلاقات بشكل غير مقبول، وهو أمر كثيرًا ما اشتكى منه السوريون في عهد الأسد.

وأضافت: "لا أريد نظامًا يعتمد على الواسطة، رغم أن وجود الجولاني في الجوار قد يعتبر أفضل واسطة ممكنة في سوريا الجديدة".

لكن أكثر من لديه دافع للشعور بالأسف على زيارة الجولاني لمنطقة المزة هم عائلة سليمان. يقول حارس المبنى إنهم قرروا الاستجابة لطلبه بإعادة شقة العائلة، ويضيف: "حملوا أغراضهم في السيارة، وانطلقوا ظهر اليوم.. لو كان شخصًا من النظام القديم، لكان قد رماهم من النافذة".

الكاتبان: سامر الأطرش وريتشارد سبنسر

المصدر: ذي تايمز

رابط المقال : https://www.noonpost.com/277370/